سخرية الذات في مجموعة قصص"صورة شاكيرا" القصيرة لمحمود شقير

الأستاذ المساعد الدكتور

سيدة اكرم رخشنده نيا

جمهورية إيران الإسلامية - جامعة كيلان

rakhshandeh1982@yahoo.com

سخرية الذات في مجموعة قصص"صورة شاكيرا" القصيرة لمحمود شقير

الأستاذ المساعد الدكتور

سيدة اكرم رخشنده نيا

جمهورية إيران الإسلامية - جامعة كيلان

rakhshandeh1982@yahoo.com

ملخص البحث

يمكن للأدب العربي المعاصر أن يكون صورة عن الواقع الإجتماعي بأبعاده النفسية والفكرية والشعورية والمادية، بل قد يكون الأدب الضوء الذي يتم تسليطه على معاناة معينة ويتم لفت نظر المجتمع لهذه المعاناة وإيجاد حلول جذرية لها و يمكن لكتّاب القصة القصيرة جداً أن يعكسوا هموم الإنسان العربي المعاصر وأن يجسدوا أهم وأعمق اللحظات الإنسانية في حياته ومن هذه الاسماء القاص والناقد محمود شقير الذي مارس الكتابة الابداعية و النقدية وله في مجال النقد، الكثير من المقالات والمتابعات و المعالجات النقدية، التي تناولت اعمالا أدبية، قصصية و روائية لكتاب فلسطينيين، و احتل مكانة مرقومة في القصة القصيرة.

‘‘ صورة شاكيرا"عنوان أحدي مجموعاته القصصية وقد صدرت عام ٢٠٠٣م و هي من القصص التي يعالج فيها شقير الواقع الفلسطيني إذ كتبها شقير باسلوب مغاير مع مجموعاته الأولي و قد أقرَّ بها مرارا في المقابلات التي أجريت معه و تتميز هذه المجموعة و مجموعة "ابنة خالتي كونداليزا" عن مجموعات شقير السابقة كلها في جانب جديد و هو جانب السخرية و التهكم. كما ثمة جانب آخر أيضا يميز هاتين المجموعتين و هو أنهما تضمان إلي جانب الشخصيات المنتزعة من البيئة المحلية ،شخصيات عالمية معروفة مثل شاكيرا و مايكل جاكسون و رونالدو و... .

ونحن في هذا المجال ومستفيدا عن المنهج الوصفي- التحليلي ندرس مجموعة "صورة شاكيرا" التي تشتمل ست قصص تحتوي علي السخرية من تسع وعشرين قصة في المجموعة و من نتائج الدراسة أنها ليست السخرية المشار إليها سخرية مباشرة من الجلاد بذاته، إنها سخرية الذات و سخرية الواقع في تفاصيل حياة الناس ويومياتهم.

الكلمات المفتاحية: السخرية، الذات، محمود شقير، مجموعة"صورة شاكيرا"

١- المقدمة

لا تمضي الحياة اليومية للفلسطينيين في ما يسمّى بمناطق السلطة، أو الضفّة والقطاع، يعني ما احتّل في حرب حزيران ٦٧، متشابهة كما يخيّل للمتابعين عن بعد، فالحياة اليومية الفلسطينية وإن اتسمّت بالموت الناجم عن القصف، وعمليات الاغتيال، والاجتياحات المتكرّرة، والموت والولادات على الحواجز تحت عيون جنود الاحتلال المستمتعين بمصائب الفلسطينيين، تضّج بتفاصيل طريفة، وبمفارقات مثيرة للدهشة، وأحياناً فيّاضة بالسخرية الفلسطينية اليومية، وتنوعها، وما فيها من صراعات، وتباينات و حديثاً فقط، أخذ بعض النصوص القادمة من داخل فلسطين تتمرد على تلك المفاهيم، وتدير الظهر لتلك الصورة النمطية عن أدب المقاومة للاحتلال، ومن أهم ما ورد الينا "صورة شاكيرا"لمحمود شقير! واللافت هو أن محمود شقير كان في مجموعته الأولى "خبز الآخرين" واحداً من المروجين لتلك المفاهيم القديمة للأدب ودوره.. ولكنه أخذ على نفسه مراجعة تلك المفاهيم، الى أن أصدر مجموعته الجديدة "صورة شاكيرا."

يتميّز الكاتب محمود شقير في كل إبداعاته القصصية بالتزامه قضايا شعبه وحمل همومهم والتعبير عنها من خلال قصصه، لا بالأسلوب الصاخب والشعارات العالية، وإنما بالهدوء واختيار الكلمات العادية البعيدة

عن الصخب، واسلوب يبدو عاديا في مظهره، ولكنه يتغلف بالسخرية المُعريّة للآخر، دون أن تُعطي هذا الآخر الحجّة للردّ العنيف والانتقام و أسلوب الكتابة الساخر هو أحد الأساليب الأقرب قبولا لدى المتلقي، والأكثر نفاذا الى ذهنه وفكره.وقد وظف محمود شقير السخرية في مجموعتيه القصصيتين"صورة شاكيرا"و"ابنة خالتي كونداليزا"أيّما توظيف و تدخل السخرية من الوضع العربي في إطار نقد الذات العربية عموما بمبادئها وقيمها ومنجزاتها وخيباتها، وتنتج السخرية عبر نقطة التوتر بين ما كان يطمح إليه العرب وبين ما آلوا إليه من خيبات وفشل علي العديد من المجالات (عسكريا، سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا وثقافيا)، مما يدفع السارد إلي النقد.

سوف نقوم أولاً بتسمية القصص المعنية لكي نشير الى تفردها في عناوينها، وهي "مقعد رونالدو" و "مايكل جاكسون في حينا" و"عيون ماراتينوس" و"مذكرة الى كوفي عنان" و"صورة شاكيرا" و"كلب بريجيت باردو !!"و كما نلاحظ فهي أسماء تتوزع على السياسة والرياضة والغناء والتمثيل، وهي الحقول الأكثر تأثيراً في قطاعات الناس بشكل عام،

فيما يتعلق بالقصص الأخرى الجادة التي اشتملت عليها المجموعة، فلا بد من القول إنها نتاج عصر سابق على القصص الساخرة التي كتبتها في السنتين الماضيتين، أي بعد أن بلغ سيل الاحتلال الزبى كما يقال، وقد وجدت أن لا ضير من وضعها في كتاب واحد مع هذه القصص، كونها تشترك معها في بعض الملامح الأسلوبية وفي الدلالات الاجتماعية والانسانية التي يشتمل عليها الكتاب بوجه الإجمال.

ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار "صورة شاكيرا "تمهيدا للمجموعة التي جاءت بعدها، لأن الأفق الجديد الذي تدخله يضم ست قصص من تسع وعشرين قصة، تمثل ما جربه الكاتب من أساليب.

سؤال البحث: كيف استفاد القاص السخرية في هذه المجموعة و لماذا؟
الفرضية: القاص محمود شقير في هذه القصص القصيرة الستة يسخر من الذات(الفلسطيني) أكثر من الآخر(الاسرائيلي)بسبب فشل الأحلام والشعارات وانكسارها علي أرض الواقع الذي جعل السارد في قلق وجودي وتوتر دفعاه إلي السخرية من ذاته ومن قيمه ومبادئه الخاصة من الذات.

خلفية البحث: هناك بحوث و دراسات مختلفة حول السخرية عند الشعراء و الأدباء المعاصرون المختلفون و أيضا دراسات حول أدب محمود شقير القاص الفلسطيني المعاصر كمقالة "تحليل العناصر القصصية في قصة «مقعد رونالدو» للقاصّ الفلسطيني المعاصر محمود شقير، الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية و آدابها، العدد١٤،الربيع ١٤٣١، الصفحة٣٦-١٩ و عناصر القصة في "صورة شاكيرا" لمحمود شقير، لرقية رستم بور، في مؤتمر أدب المقاومة و مواجهة الحرب الناعمة، بيروت، ٢٠١٤و أيضا آراء نقدية عامة في موقع شقير الالكتروني في نافذة آراء نقدية ولكن سخرية الذات في مجموعة قصص "صورة شاكيرا" القصيرة التي تشتمل علي تسع و عشرين قصة قصيرة لم تدرس حتي الان.

٢- السخرية

-لغة و اصطلاحاً

السّخرية لغة قد ورد عنها في «لسان العرب»: «سَخَرَ منه وبه سَخْراً وسَخَراً ومسْخَراً وسُخْراً بالضمّ وسُخْرَةً وسِخْرياً وسُخْرِيةً: هَزِيءَ به(ابن منظور، مادة سخر).وفي «القاموس المحيط» نجد «سَخَرَ منه و به كفَرِحَ، سَخْراً و سَخَراً وسُخرَةً ومَسْخَراً وسُخراً: هَزِيءَ كاستسخر والاسمُ السُّخرية والسُّخْري (الفيروزآبادي، لا تا: ج٢، ٤٧).

اما السخرية اصطلاحاً و كأُسلوب ادبيّ في كتابة الشعر و النثر فهي «نوع من التأليف الادبي او الخطاب الثقافي الذي يقوم علي أساس الانتقاد للرّذائل و الحماقات و النّقائص الإنسانية، الفردية منها والجمعيّة، كما لو كانت عملية الرَصد أو المراقبة لها، تجري هنا من خلال وسائل و أساليب خاصّة في التّهكم عليها، او التّقليل من قدرها، أو جعلها مُثيرةً للضّحك، او غير ذلك من الأسباب الّتي يكون الهدف من ورائها التّخلص من بعض الخصال و الخصائص السّلبيّة.(عبدالحميد، ٢٠٠٣: ٥١).

تستهدف السخرية في جوهرها نقد الحياة ، أو تغيير بعض الظواهر فيها ، وهذا التغيير أو التطوير ، يبدأ أولا بتشخيص الحال ، ومعالجة الخلل فيها، والسخرية بدورها لا تكتفي بالنظر إلى الأشياء من السطح ، ولا تقتصر في تشخيصها للخلل على ظواهر الأمور ، وإنما قد تشك في الإنسان ذاته، وفي النظام العام الذي يسيّر العالم ، فتصبح مفهوما عميقا ، ونظرة شاملة ، "وكأنما أريد لها أن تحل محل الفلسفة والأخلاق"(ادونيس،١٩٧٧: ٤٠). وتعتمد في ذلك أساليب بارعة ، تدخل إلى الناس مداخل شتى ، فتستنهض عقولهم أحيانا ، وتدغدغ مشاعرهم أحيانا أخرى ، وقد تلهو بكينونتهم ، فتصبح سلاحاً متعدد الأطراف ، وهذا يزيد من تأثيرها وقوّة سطوتها ، ويوسع دائرة نشاطها. في حين أن الجِدّ حالة عادية غير طارئة، (ياسين، ١٩٩٥: ٢٥) ولا تخرج عن المألوف في النظر إلى الأشياء ، وفي التعامل معها، وليس في هذا ما يدعو للسؤال أو الغرابة . ولا نبالغ إذا قلنا :" إن الموقف الساخر هو الأليق بواقع الحياة وتناقضاتها"(العوا،١٩٩٦: ١٢). إذن تعمل السخرية هنا علي تجاوز ما يظهر في السطح إلي عمق الأشياء وتزيل الأقنعة وتعري الواقع، وتجعله يظهر علي الصورة الحقيقية التي هو عليها.

وظهرت في منتصف القرن الماضي علي الساحة الأدبية في فلسطين ظاهرة و« لجأ كتاب فلسطينيون إلى السخرية في بعض ما كتبوا وتجاوزها بعضهم إلى التهكم.وكان طوقان، في الشعر، أول أديب فلسطيني يلجأ إلى أسلوب السخرية، وقد تبع خطاه فيما بعد محمود درويش في بعض قصائده، بخاصة خطب الدكتاتور الموزونة التي لم يجمعها في كتاب، ومريد البرغوثي الذي أنجز قصائد تقوم على المفارقة، وقبل هذين معين بسيسو، في بعض قصائده، وبعض مسرحياته»(الأسطة: محمود شقير وقصة "صورة شاكيرا": ٢)

٣-محمود شقير و مكانته في القصة القصيرة

حياته: محمود شقير من مواليد جبل المكبر/ القدس في سنة ١٩٤١و حاصل على ليسانس فلسفة واجتماع من جامعة دمشق عام ١٩٦٥(سيرة ذاتية،موقع محمود شقيرالالكترونية). شكلت حرب حزيران ١٩٦٧ العدوانية وما ترتب عليها من هزيمة أوقعت ما تبقى من فلسطين والجولان السورية وسيناء المصرية تحت احتلال غاشم، شكلت هذه الحرب انعكاسا حادا في مسيرة حياة الأديب شقير، لكنه لم يتخل عن القلم، فواصل كتابة القصة والنشر على صفحات مجلة" الجديد"وصحيفة "الاتحاد" الحيفاويتين، تحت اسم"ربحي حافظ" ...وانخرط أديبنا في النضال ضد الاحتلال...ولهذا فقد تعرض للاعتقال والتعذيب في تموز ١٩٦٩(السلحوت، ٢٠١٠: ٤).

محمود شقير أديب كتب القصة القصيرة، والقصة القصيرة جدا، وقصة الأطفال، ورواية الأطفال والفتية، والمسرحية، والمسلسل التلفزيوني، وأدب الرحلات، والسرد الذي خلط فيه فنونا ابداعية مختلفة، لكنه يقدم نفسه للقراء ك "قاص" فقط وما كتبه شقير من قصص قصيرة للاطفال، ومن مقالات سياسية واجتماعية وفكرية لم تجعل منه كاتبا سياسيا بالدرجة الاولى، أومصلحا اجتماعيا، كما أن النصوص المسرحية والتمثيلية التي انجزها لم

تجعل منه كاتبا مسرحيا متميزا. وعليه فقد ظل شقير قاصا بالدرجة الاولى، قاصا التفت الى هذا الفن، واخذ يكتب فيه ويطور رؤيته اليه، وهذا ما يتضح من خلال مجموعاته التي اصدرها»(الأسطة، محمود شقير والقصة القصيرة الفلسطينية: ٣) و منذ بداية القرن الجديد، القرن الحادي والعشرين، أصدر شقير أربع مجموعات قصصية هي على التوالي "مرور خاطف" (٢٠٠٢) و"صورة شاكيرا" (٢٠٠٣) و"ابنة خالتي كوندوليزا (2004) "و"احتمالات طفيفة" (٢٠٠٦).

٣-مجموعة صورة شاكيرا:

صورة شاكيرا" عنوان إحدى المجموعات القصصية للقاص محمود شقير، وقد صدرت في العام (٢٠٠٣) و تشتمل علي تسع و عشرين قصة وتتميز بخط الواقعية الساخرة، إلى جانب الهم الفردي الإنساني و يقول شقيرحينما أطلقت على مجموعتي ما قبل الأخيرة "صورة شاكيرا" فقد رأيت في هذا العنوان اشتباكا من نوع ما، مع ما تطرحه العولمة الأمريكية من إشارات لثقافة استهلاكية مسطحة تتخذ من بعض رموز الغناء والرقص والتمثيل والرياضة والإعلام وبرامج التسلية والترفيه، وسيلة لصرف أجيال الشباب عن الاهتمام بالمشكلات الحقيقية لهؤلاء الشباب أنفسهم، وللوطن، والناس، وإحاطتهم، من ثم، بأجواء زائفة مصطنعة، تفقر وعيهم، وتسلبهم القدرة على رفض الواقع السائد والتمرد على قوانينه الجائرة. (شقير: الكتابة حينما تكسر النمط ، ٢٠٠٥، ص٢٠١).

يذهب شقير إلى أن فكرة قصصه الجديدة تعود إلى العام ١٩٨٢، وتحديدا إلي مرحلة كانت فيها مدينة بيروت محاصرة من الإسرائيليين، وتدك برا وبحرا وجوا، فيما كان أكثر المواطنين العرب، في العالم العربي، يتابعون مباريات كأس العالم،(كما هي الحال في هذه الايام) ويتظاهرون ضد حكم لم يكن

منصفا، فيما لم يتظاهر إلا قليلون لما يجري في بيروت. لقد رأى في الأمر مفارقة تدعو إلى التأمل، وتبعث الحزن، وتثير السخرية، فقرر أن يكتب قصصا تقوم على عنصر المفارقة":آنذاك، خطر ببالي أن أكتب قصصا قصيرة، تنبني على المفارقة الصارخة التي أنتجتها الوقائع: فثمة حصار، ودم، ودمار من جهة، وركض حر في الملاعب، وجماهير هائجة مشدودة إلى الكرة من جهة أخرى". (نفس المصدر: ١٩٩).

وممّا يسترعي انتباه القارئ اهتمام الكاتب، في قصصه الأخيرة، باختيار شخصيات مشهورة ومعروفة على المستوى العالمي مثل اللاعب الرياضي الشهير رونالدو والمغنية شاكيرا لتكون أبطالا لقصصه، وبذلك جرّد هذه الشخصيّات من الهالة التي تحجبها عن الناس العاديين وقدّمها شخصّات عادية لها سلبياتها وإيجابياتها.

التعامل مع شخصيات تتردد أسماؤها من خلال الفضائيات لدرجة أنها تقتحم حياة الناس وتصبح جزءا منها، رغم أنوفهم، في عصر الأزمة والعولمة وثورة الاتصالات، هو الجديد في كتابة محمود شقير هذه المرة: إنه يعيش عصره بشكل واع وهو يتحدث عن مطربة شهيرة، أو عن مطرب أكثر شهرة، أو عن ممثلة كان لها تاريخ وحاولت أن يكون لها حاضر، أو عن سياسي له حضور، فيبدو قادرا على رصد اهتمامات الناس بدقة، دون أن يجعل ذلك هدفه: إنه لا يكتفي بالرصد، وتقديم الصورة، حتى وإن جنحت إلى الكوميديا السوداء معظم الوقت، ولكنه يطوع الأسماء الشهيرة والأحداث التي تصدر عنها، لتقديم صورة عن مجتمعه الذي يعيش أزمة قاسية، ولا تستطيع هذه الأسماء التي تطرق الآذان بحضورها وهيبتها كل لحظة، أن تفعل له شيئا، رغم ما يوحي به حضورها من أنها معنية بأن تفعل.

فهذه القصص القصيرة تستفيد من حضور شخصيات عالمية لها صدى وتأثير حتى على حياة الفلسطينيين الذين يعيشون في زمن الفضائيات، والإنترنت، وكل مؤثرات(العولمة) تماماً كغيرهم من البشر، مع شيء من الخصوصية. هل يتوقع قارئ عربي، أو حتى فلسطيني في المنافي، أن تكون (شاكيرا) و(رونالدو)، و(كوفي أنان)، و(موراتينوس (المبعوث الأوروبي لمناطق السلطة، الذي صار وزيراً لخارجية إسبانيا بعد انتصار الاشتراكيين في الانتخابات هناك، والنجمة السينمائية الفرنسية العتيقة بريجيت باردو، و مايكل جاكسون، بهذا الحضور في الحياة اليومية الفلسطينية؟!

هؤلاء حاضرون في المجموعة القصصية هذه ، ولهم تأثير في نمّو أحداث القصص التي تحمل أسماءهم، وتوّظف صفاتهم المعروفة، والمعلومات المتوّفرة عن حياتهم الخّاصة والعّامة، بحيث تضفرها بحياة شخوص القصص بشكل ساخر وكاشف لما يمور في المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال .

٥- سخرية الذات في مجموعة قصص"صورة شاكيرا"القصيرة

٥-١- مقعد رونالدو/السخرية من أحلام الذات البسيطة

بدأ محمود شقير مجموعته بـ"مقعد رونالدوا " وكيف خابت أحلام كاظم علي الذي يحمل رمز الأمل الذي لا يموت ، الحلم بشيء ما قد يحدث أولا يحدث ولكن ثمة أمل يحثنا على الحياة مهما كان وبأي شكل جاء .في القصة الأولى من المجموعة "مقعد رونالدو" كاظم علي يعشق كرة القدم. نجمه المفضل رونالدو البرازيلي. يعمل كاظم سائقاً لسيارة أجرة، ويترك المقعد الأمامي محجوزاً لرونالدو، فهو متأكد من قدوم نجمه المفضل إلى مدينة في الضفة الغربية:" كاظم علي أكّد بأن رونالدو قادم لا محالة"(شقير،صورة شاكيرا، ٢٠٠٣: ٥).

يشكك بعض الناس في سلوكيات كاظم ـ خاصة قبل زواجه ـ بأنه يحجز الكرسي ليجلس فيه النساء ليغازلهن، ويبلغ الأمرحد تأليف التهم وتلفيق الحكايات حوله يشكك بعض أبناء الحارة بأن (فونالدو أو كونالدو) ـ هكذا يلفظ بعضهم اسم رونالدو ـ هذا مشبوه، وأن كاظم سيئ السلوك وطنيا، يخرج له ملثمون يشبعونه ضرباً" أين هو صديقك البرازيلي يا كاظم علي؟ أين هي زوجته وطفله؟ أين هو هذا المدعو فونالدو؟ (يضحك كاظم علي ويحاول تصحيح الاسم دون جدوى) ولا يجيبهم عن تساؤلاتهم بشكل واضح، ما يزيد الأمر غموضاً وغرابة"(نفس المصدر: ٦) ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد داهم بيته إبن عمّه الجزّار وصرخ في وجهه وهو يضع سكين ذبح الخراف على رقبته : "مين هو هذا كونالدو يا ولد؟ إحك، انطق. مين هو كونالدو هذا؟(نفس المصدر: ٨). ظن ابن العم أن كونالدو شخص مشبوه يقيم في الحارة سرّاً، ولا يعلم عنه سوى كاظم. شعر كاظم بالذل والمهانة" انصرف أبناء العائلة، أعطوا أهل الحارة وعداً بأن ابنهم لن يثير من الآن فصاعداً أية مشكلة، وبأن المشبوه كونالدو سيغادر الحارة نهائياً مع بزوغ شمس الصباح"(نفس المصدر: ٩).بكى على صدر زوجته، و في الصباح عاد لمزاولة عمله كسائق سيّارة. لّما اقترب منه أحدهم وهمّ بالجلوس في المقعد الأمامي، نهره كاظم : هذا المقعد محجوز لرونالدو.

إن الدقة في مضمون هذه القصة تسلط الأضواء حول الظروف الراهنة في المجتمع الفاسطيني من ناحيتين:اولا المواظن الفلسطيني محروم من أقل الحقوق الإنسانية ألا و هي أمل ساذج بقدوم رونالدو الي بلاده.ثانيا:أ يبدو أن المقاومة تحولت الي امر عادي و يومي و كيف لا؟وشرائح الناس يقضون الوقت في الأوهام الباطلة والآمال المستحيلة(المدهون:٢) و أخطأ محمود في رونالدو لانه سافر الي اسرائيل لبس القبعة الصهيونية و زار جدار المبكي(الأسطة، محمود

شقير و القصة القصيرة الفلسطينية: ٤).لكنه يهدف الي أغراض ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع الفلسطيني المحتل، منها: شيوع سوء الظن في المجتمع الفلسطيني إثر احتلال العدو الغاشم للمدينة و القرية .و أن المواطن الفلسطيني المضطهد يضطر أن يلجأ الي بعض الأمنيات الساذجة لنسيان الاحتلال و الظلم(عظيمي و آخرون، ١٤٣١ه: ٦).

في قصة "مقعد رونالدو"واقع اجتماعي شامل: سائق سيارة الأجرة يحجز مقعده الأمامي للاعب الشهير، وهو يعيش وهم زيارته، وبالتالي يتظاهر بعلاقة من نوع ما معه، كتعويض؛ إلى هنا النص عادي؛ يحدث في فلسطين أو البرازيل.. الأمر سيّان، لكن المفارقة هي في سببيات هذا الحلم، والتعلق به والتي فحواها أن الحال اللاإنسانية التي يستديم تواجدها الاحتلال.. هي التي تنتج مشاعر الشك نحو السائق، وهي التي تؤدي إلى أسئلة حارقة حول من ضرب السائق عقاباً له على أحلامه، ومن حاول انتزاعه من حلم ساذج، بريء، عفوي.

مقعد رونالدو" تقارب لونا من الكوميديا السوداء التي تنتقي فكاهة المأساة من عبثية اليومي ولا معقوليته، وفي زمن جارح يلقي ظلاله على الجميع: ماذا يحدث حين يحاول مواطن فلسطيني بسيط مثلاً أن يحب لاعب كرة قدم شهير كرونالدو، بل حين يبالغ في عشقه لهذا اللاعب ويعيش معه أحلام يقظة تذهب به إلى تصوّر علاقة شخصية مباشرة معه؟

أن محمود شقير في هذه القصة، وفي قصص أخرى تحكي حكايات مشابهة عن مشاهير آخرين، ينجح في الكشف عن واقع يومي يحظر على الفلسطيني حتى الأحلام البسيطة، وفي الوقت نفسه ينجح في إضاءة إصرار المواطن البسيط على التمسّك بحلمه تحت أقسى الضغوط وفي ظلّ أكثر محاولات القمع شراسة. هنا يقتحم الكاتب الجانب الآخر من حياة الفلسطينيين كشعب و

الذي يختفي -غالباً- وراء حكايات المواجهة مع الاحتلال وأدواته القمعية. إنه الجانب المتعلق بأشكال التخلف الاجتماعي، وأيضاً بالتناقضات المجتمعية التي تجعل المواجهة مع المحتل ناقصة وتفتقد إلى الكثير من عوامل فاعليتها ونجاحها. وفي «مقعد رونالدو» ثمة انتباه ذكي وجميل لموضوع الحب وأحلام الشباب وما تتعرض له من قمع اجتماعي.(المدهون، ٢).

لانهتمّ في استخدام محمود بالسخرية المضحكة فقط و«ليست السخرية المشار إليها في العدد الأكبر من قصص المجموعة، سخرية مباشرة من الجلاد بذاته، إنها سخرية الواقع في تفاصيل حياة الناس ويومياتهم. وهم الناس البسطاء غالباً، حيث لايستطيعون إتقان لفظ اسم "رونالدو" لاعب الكرة البرازيلي. أو اسم "مايكل جاكسون" المغني الأميركي المشهور في عالم الدعاية والإعلام السائدين. بيد أن الأكثر أهمية في السخرية من الجلاد في قصص المجموعة هي أن نتجاهله ونقصيه عن حياتنا اليومية. و ربما نستطيع القول إن هذا الإقصاء والاستبعاد يرمزان إلى إمكانية حياة، وقوة على استمرارها دون اكتراث له أو انغلاق ضمن دائرة رد الفعل على وجوده كتعبير عن وجودنا. هذا في ميدان التعبير والإبداع الفني طبعاً»(الولي، ٢٠٠٥. ص ١٠١).

وهناك سمتان لا بد من الإشارة إليهما تحديدا في لغة الكاتب: الأولى هي أنه لا يكتفي بأن تكون الفكرة التي تحملها القصة ساخرة، ولكنه يدخل السخرية في ثناياها، من خلال اللغة أيضا: سوف نجد ذلك في الموقف، وسوف نجده في السرد، و في الحوار. سوف يكون مريحا في بعض الأوقات، وسوف يرسم ابتسامة على الشفاه في بعضها الآخر، ولكنه قادر على أن يثير ضحكة حقيقية في لحظة ما.

٥-٢-مايكل جاكسون في حينا/السخرية من بساطة الذات الفكرية

مايكل جوزيف جاكسون (٢٠٠٩-١٩٥٨)هو مغني وممثل وملحن و راقص ومنتج أغاني ومصمم رقصات ومخرج وكاتب كلمات ور جل أعمال وناشط-

حقوقي أمريكي لقب بملك البوب(ويكيبيديا، الموسوعة الحرة). يستخدم شقير في قصصه هذه الشخصية و في قصة (مايكل جاكسون في حيّنا) نحن لا نصدّق بأن مايكل جاكسون قدم فعلاً إلى حي فلسطيني ليبسط أهله ويسلّيهم" مايكل جاكسون جاء إلى حيّنا وغنّى عدداً غير قليل من أغنياته القديمة، غنّى بعض أغنياته الجديدة أيضاً"(شقير،صورة شاكيرا، ٢٠٠٣: ١٠).

ولكن المقنع أن شابّاً تمكّن من خلال علاقاته بمنظمة غير حكومية أن يحصل على منحة للسفر إلى أميركا لتعلّم فن الإدارة الحديثة ولمدّة ستة أشهر، عاد ابن العم بعدها منتفخاً بوعد الانتقال بالحي إلى زمن ما بعد الحداثة!" ابن عمي عاد من أمريكا بأفكار متناثرة، يتسم بعضها بقدر من العبث. قال إنه سينقل الحي، حيّنا، إلى عصر ما بعد الحداثة(نفس المصدر: ١٠). وما الحداثة الموعودة؟ إنها الاستماع لأغاني مايكل جاكسون في الحي الذي يجافي النوم فيه عيون أهله بسبب دوي الطائرات والقصف ونباح الكلاب المرتعبة. نظرية ابن العم بسيطة ـ قل سطحية، كما كثير من دعاة التحديث الشكلانيين في كل بلاد العرب ـ إن من يسمع ويطرب لمايكل جاكسون لا يمكن أن يكون إرهابياً!" ابن عمي قال:سأحضر مايكل جاكسون للغناء في الحي، لكي أسرّي عن أهل الحي ولأخفّف من معاناتهم جرّاء رؤيتهم مناظر الدماء البريئة التي تسيل في بلادنا كل يوم. قال: سأحضره لكي أثبت للقاصي والداني أننا لسنا إرهابيين، لأن من يستمع إلى مايكل جاكسون لا يمكن أن يكون إرهابياً"(نفس المصدر: ١١).

يداعب شقير فكرة ما بعد الحداثة باستحضار مايكل جاكسون ليغني للناس في مدينة أهلها متهمون بالإرهاب "سأحضره لكي أثبت للقاصي والداني أننا لسنا إرهابيين و يعترض الناس على قدوم جاكسون، وتدب المشاجرات الكلامية بين القابلين والمعترضين. فيقوم جاكسون "بالاتصال بوزير

دفاعه رامسفيلد ليطلب منه إرسال طائرة من نوع شبح. لأنه أدرك أن شرف الدولة الكبرى لم يسلم من الأذى إن لم يقدم على فعل كبير، أخرج من تحت ثيابه مسدساً من نوع برابيلو، يتسع مخزنه لأربع عشرة رصاصة، صوب فوهة المسدس نحو رأس عمي الكبير" (نفس المصدر: ١٤). هنا السخرية من ما بعد الحداثة التي تواكب زمن العولمة الأميركية.

سوف يكون التظاهر أكثرعمقا في قصة "مايكل جاكسون في حينا"، لأن المجتمع يتوهم أن بطلها مسنود، بعد أن زار الولايات المتحدة مدعوا في دورة لها عنوان، ولكن حقيقتها تختلف عنه، ولذلك فإن الأمركة تصبح صفة الزائر/ العائد، الذي تثور حوله الشكوك أيضا. والقصة لا تكتفي بكشف التظاهر والعنتريات والانتصار الوهمي في مقابل الانتصار الحقيقي، ولكنها تغوص في المجتمع لتكشف حالتين حقيقيتين يعاني منهما: السطحية المتفشية في تفكير الفتيان، والكبت المسعور في نفوس الفتيات.

ويقول شقير":وفي السخرية تعزيز للروح المعنوية للناس الذين يتصدون للاحتلال. ويستلزم هذا الأمر، كما أعتقد، ليس السخرية من الآخر والتهوين من شأنه وحسب، بل السخرية من الذات كذلك، السخرية من نواقص الذات وأخطائها، وذلك لجهة التخلص من هذه النواقص والأخطاء، ولخلق حالة جديدة وروح معنوية تمكننا من الصمود فوق أرضنا" وفي هذا الصدد ينبغي التنويه بأن اللجوء إلى السخرية، يتم انطلاقاً من سرد قصصي بعيد عن المبالغات الرنانة والشعارات المباشرة، بحيث تتحقق متعة القراءة ويتحقق في الوقت نفسه هدف إنساني ونضالي، جراء الكتابة التي تتفاعل مع قارئها وتصل إلى أعماق وجدانه (شقير: الكتابة حينما تكسر النمط ، ٢٠٠٥: ٢٠١).

في قصة "مايكل جاكسون في حينّا " صورة لانقسام الأجيال في عالم لم يعد يحتفظ بأصوله وعادته وتقاليده، عالم منفتح على صرعات في طقوس

جاكسون ،منهم من يراه ضربة لكل ما هو أصيل وصورة مشوهة لمجتمع بكامله؛ فهي تصوّر جانباً من الحياة الاجتماعية تحت الاحتلال، وتلقي الضوء على شخصيات بدأت تظهر في المجتمع الفلسطيني بعد تفشي ظاهرة (المنظمات غير الحكومية) ومشتقاتها. وتسخر القصة من اهتمامات بعض الشباب. فقد جاء في الصندوق المعد لرسائل المعجبين والمعجبات بمايكل جاكسون جاء في رسائل الشباب: "يسألون المغني الشهير عن وجبة الطعام التي يشتهيها، يسألونه عن آخر نكتة سمعها، يسألونه عن اللون المفضل له"(شقير، صورة شاكيرا، ٢٠٠٣: ١٢) ويعلق الراوي على ذلك "هذا من تأثير التلفاز"(نفس المصدر) وفي هذا نقد لاذع لبرامج محطات التلفزة ترتكز على مثل هذه التوافه دون الالتفات الى الجوهر .

أما الفتيات فتدل رسائلهن على أنهن "الملعونات يعانين من كبت مسعور، تصور، تسع عشرة فتاة من اصل أربع وعشرين يعرضن على المغني الزواج... ثلاث فتيات سخرن من المغني، قلن في رسائلهن إنه ولد مائع ولا يقبلنه مجرد ماسح لأحذيتهن ."(نفس الصدر، ١٢). إذا نحن أمام جيل شاب ضائع وشابات يعانين الكبت دون أن يلتفت أحد الى معاناة الطرفين اللذين كلاهما يبتعد عن ماضيه وحضارته وتائه في ما يريده من جديد، وحفلات أعراسنا مثال على ذلك حيث أن الأغنية الشعبية لم يعد لها مكان أمام الموسيقى الصاخبة والأغاني الصاخبة التي لا يفهمها الراقصون على أنغامها. والتي تملأ الأحياء والقرى صخبا وضجيجا دون مراعاة حق الآخرين في الهدوء والنوم المريح.

٥-٣-عيون موراتينوس /السخرية من وهم الذات

في قصّة (عيون موراتينوس) يلعب محمود قصّته جيداً، فأحد الشباب، وهو يعمل في صحيفة محليّة يشيع بأن موراتينوس(المبعوث الأوروبي لمناطق

السلطة، الذي صار وزيراً لخارجية إسبانيا بعد انتصار الاشتراكيين في الانتخابات هناك)سيزور القرية، قريته القريبة من رام الله" هذا ما تناقلته ألسنة الكثيرين من غير أن يعرفوا مصدر الخبر، الخبر انتشر في القرية وصدّقه عدد غير قليل من أهلها"(شقير،صورة شاكيرا، ٢٠٠٣: ٢١).وهنا بهذا الحجر يتحرك الركود في القرية، ونرى طرافة ما يحدث بين الوجيه والشاب وأهل القريّة.

الوهم يكون موضع سخرية في قصة "عيون موراتينوس" فهو "سيأتي في هذه المرة إلى الناس للتعرف على قضاياهم دون وسيط" (نفس المصدر: ٢١). خبر أشاعه مراسل جريدة حتى يستثمر الخبر ويستغل الحدث في عرافة الحفل. و رئيس المجلس القروي الذي يستعد لخوض الانتخابات والتجديد للرئاسة وجد الفرصة التي تسعفه في معركته الانتخابية. وكلاهما المصحح ورئيس المجلس القروي عيناهما على المنصب في الانتخابات.

أما لسان حال الناس يقول: "إن موراتينوس جاي ومعه شحنة مؤن: أرز وسكر وسمنة ومعلبات" وآخرون يرددون "بس المهم دم الشهداء ما يروح بلاش... داري هدمها شارون، وأولادي الثلاثة في الحبس تنشوف شو بده يقول موراتينوس" ويتوغل شقير في السخرية حين يردد أحد الأشخاص في القصة: وحياة العداره سمعت أنه أصله فلسطيني من بيت لحم واسمه الحقيقي مارطانيوس" (نفس المصدر: ٢١).

رئيس المجلس صاح، فالتفّتْ من حوله وسائل الإعلام "يا ناس، الوقت مضى بسرعة وموراتينوس لم يصل. لدي خشية من مؤامرة ما" (نفس المصدر: ٢٧) وهكذا صاح رئيس المجلس القروي. ظهر موكب سيارات في الشارع العام. زغردت النساء. مسك رئيس المجلس شاربيه.. صاح مصحح

الجريدة! عاش موراتينوس رجل السلام.. موكب السيارات تجاوز الحشد بسرعة ومضى مسرعاً إلى جهة لا يعلمها إلا الله" (نفس المصدر:٢٨).

في هذه القصة القصيرة الرهان على الوسطاء وانتظار الخلاص من جولاتهم أمران يضعهما شقير في قالب ساخر ويكشف عن الطموحات الصغيرة والمتهافتة لبعض الفئات من خلال رمزية: مصحح الجريدة و رئيس المجلس القروي. وكل ما يتمناه أهالي قرية ما هو أن يمر موراتينوس مبعوث الاتحاد الأوروبي في قريتهم لكي يراهم، ولهذا قاموا بالاستعداد بملابسهم ودبكاتهم الشعبية... أرادوا في أعماقهم التوكيد لأنفسهم قبل أي أحد، على أنهم بشر حقيقيون... يضحكون ويفرحون ويرقصون ويرتدون الملابس الجديدة... واذا لم يتوقف موراتينوس في قريتهم في ذلك اليوم، فإنهم سيكونون قادرين على ابتكار مناسبة أخرى بالضرورة يوماً ما لتكريس الفكرة ذاتها... واذا لم يأت رونالدو كما يصر كاظم، فإن هذا الكاظم سيتلقى توكيداً آخر من شخص آخر في حجم رونالدو لزيارته.

في هذه القصّة يسخر محمود من الرغبة الطاغية التي بدأت تتفشّى بين (وجاهات) الفلسطينيين، سواء نجوم الفضائيات، أو حتى المخاتير في القرى، الذين باتوا شديدي الرغبة في الظهور على الفضائيات. لم يأت موراتينوس، ولكننا كسبنا قصّة فيها مقالب، وشخصيات من لحم ودم، وتعرّفنا إلى الحياة في القرية الفلسطينية واحتياجاتها ومعاناتها .

٥-٤-المذكرة إلى كوفي أنان/السخرية من هواجس الذات و رغباتها

يلجأ عبدالغفار الى ابن عمه عبدالستار... وعلى رغم أن عبدالستار المقدسي يعمل كاتب استدعاءات أمام وزارة الداخلية الاسرائيلية في القدس، الا أنه يعتبر فكرة تشكيل لجنة في الحي انصياعاً لرغبة الاحتلال... أخيراً يجتمع عبدالستار وعبدالغفار ونعمان ابن أخت عبدالغفار وآخرون... وفكرة المذكرة

الى كوفي عنان من عبدالغفار، هي بسبب ان عبدالستار. الذي يدعي انه يفهم بالسياسة اعتاد كتابة المذكرات الى هذا الرجل مطالباً إياه بالتدخل لإعادة الأراضي المصادرة الى أصحابها... وعليه فإن عبدالستار يفاجأ بحكاية المذكرة هذه من أجل التخلص من مجموعة من الكلاب الضالة.

"كلاب كثيرة، هربت من الأحياء التي يقوم جيش الاحتلال بإطلاق القذائف على بيوتها بدون انقطاع وجاءت إلى حيّنا الهادئ لتقيم فيه! وعبد الغفار لا ينام مشغول البال بوضع حد لمسألة نباح الكلاب"(شقير، صورة شاكيرا، ٣٥). تلك هي قصة المذكرة إلى كوفي أنان. فالمذكرة التي سيكتبها أهالي الحي الى كوفي عنان تتعلق بمجموعة من الكلاب الضالة النباحة... وهي كلاب ربما جاءت الى هذا الحي الهادئ بالصدفة، بسبب قصف الاحتلال لمناطق أخرى(نفس المصدر:٣٥) هذه هي الاشارة الى الاحتلال! وهنا يستطيع بعضهم أن يقوم بالتأويل كما يشاء، لأن القصة تذهب في اتجاه آخر، حيث لا يسمح لنا باختصار القصة الى مقولة عامة: "ان الناس لم يعودوا قادرين على النوم بسبب الاحتلال"!

وهنا يدور حوار غريب يشبه الأقنعة، حيث يقوم كل واحد بالافصاح عن رغباته الانسانية الصغيرة التي حرمته اياها الكلاب... فأحدهم يتوق الى سماع المسلسل التلفزيوني، وآخر يشكو عدم التواصل بينه وبين زوجته أثناء النباح و تذكر الأمين العام و يدور الحوار و تتشد الملاسنات بين أبناء الحي حول ضرورة استدعاء كوفي أنان لمثل تلك القضايا ونعمان الذي أصبح بنصف عقل بعد أن ضربه المستوطنون ذات يوم وهو يتردد على أرضه المسروقة، يعلن أن نباح الكلاب قد حال بينه وبين سماع صوت حبيبته نهلة وهي تغني له خلف الشباك، فينبهه أحدهم الى ضرورة الانتباه لئلا تقوم نهلة

بالقاء نفسها من الشباك!!"والنتيجة، ماذا تقترح يا عبد الغفار؟"نرسل مذكّرة إلى الأمين العام، لعله يتدخل ويخلّصنا من هذه الكلاب(نفس المصدر، ٣٨).

بعد هذه الشكاوى يتطرق المجتمعون الى كوفي عنان نفسه... ولا يخفون اعجابهم به، باعتباره عربياً كما يقول أحدهم" شكله تقول انه عربي، بس ليش اسمه كوفي، ولع الشيطان، أي هي الأسامي مشترى. لو ان والده سماه مصطفى، مصطفى عنان! أو، لو انه سماه عبد الرحمن! وحين يكتشف أنه ليس عربياً يقول انه مسلم على أي حال""مش عربي، معناه مسلم"(٣٥) وحين يكتشف أنه ليس مسلماً يقول إنه سمع أن كوفي عنان سيدخل الاسلام، وحين يكتشف أن ذلك أيضاً غير صحيح يقترح أن يضمنوا المذكرة دعوته الى الاسلام"لعاد، نرسل له رسالة ندعوه فيها إلى الإسلام"(نفس المصدر: ٣٩).

أما نعمان فيدعي أنه رآه أمس ماشياً في الحي، وأنه قال له: مساء الخير يا عمي كوفي عنان... وأن كوفي عنان كان متخفياً لكي يطلع على مشكلات الحي بنفسه" أحلف بعيون نهلة، إني امبارح في الليل، شفته ماشي في الحي، ماشي ومتخفّي عشان يشوف شو فيه عندنا مشاكل"(نفس المصدر) وبالطبع تحدث ملاسنات ومشاحنات بين جملة وأخرى، الى أن ينتبه عبدالغفار أن نباح الكلاب قد توقف، فيعودون الى بيوتهم عند منتصف الليل، ويتهيأون للنوم، ولكن الكلاب تعاود النباح!.

نحن لا نقول إن هذه نصوص مقاومة، ولكنها نصوص تركز على الأثر العميق الذي يحدثه الاحتلال في النفس البشرية، وفي أعماق الروح، وهي بذلك نصوص أكثر أهمية وأثراً من النصوص التي تتسلح بالشعارات وتعلي من قيمة الوطن كفردوس مفقود، وتمنح الأرض صفة القداسة المطلقة. فالوطن الحقيقي هو أحلام الناس وهواجسهم ومسراتهم ورغباتهم الإنسانية، وهذا ما تركز عليه سخرية محمود شقير... فأبطاله ليسوا مناضلين صناديد،

ولا مقاتلين شرسين، ولا خطباء ولا مسيسين أصلاً... ولكنهم أكثر مقدرةً من سواهم على كشف بشاعة الاحتلال، وعلى اعلاء قيمة الحرية الانسانية.

٥-٥-كلاب بريجيت باردو/السخرية من ثنائية الذات

شخصيات قصص المجموعة تتنقل بين أحداث أكثر من قصة. وحين تحضر من جديد نلحظ المفارقة في مواقف تلك الشخصيات. الكلاب حاضرة في قصّتين (مذكّرة إلى كوفي أنان) و(كلب بريجيت باردو)، والكلاب هي (الموضوع)، وبين كلاب وكلاب ثمّة مفارقة في مشاغل وهموم بشر وبشر، وشعوب وشعوب.

في القصة الاولي الكلاب في المناطق المحتلّة -مناطق السلطة -تتهيّج من شدّة القصف، ويدفعها ذعرها إلى التجمّع في قطيع والنباح معاً بشكل متواصل بحيث يهجر النوم جفون السكّان، وهو ما يدفع عبد الستّار للتفكير في تدبيج مذكّرة إلى الأمين العام (كوفي أنان) لعلّه من موقعه الأممي يجد حلاً لمشكلة الكلاب، وهو ما سيجلب النوم لعيون الفلسطينيين المحرومين من النوم.

في قصة"كلب بريجيت باردو" يسافر عبد الستّار إلى باريس بدعوة من (بريجيت باردو) الممثلة الفرنسية التي باتت شهرتها ترتبط بالعناية بالحيوانات الأليفة المقطوعة من شجرة، وكانت قد قرأت في الصحافة العالمية عن مشكلة الكلاب في ذلك الحي الفلسطين"بريجيت باردو قرّرت الكتابة إلى عبد الغفار ودعته إلى زيارتها في باريس. أرسلت له تذكرة السفر وغطّت تكاليف الرحلة، وأنزلته ضيفاً عليها في بيتها، وذلك من أجل هدف واحد هو: إقناع عبد الغفار بأنّ قتل الكلاب حرام"(شقير، صورة شاكيرا، ٦٢).

تبدأ القصّة بسطر تمهيدي من الراوي" عاد عبد الغفار من باريس ومعه كلب"(نفس المصدر: ٦١) ومن بعد يسرد عبد الغفار بضمير (الأنا)ما جرى له" نعم، الكلب قدّمته لي بريجيت باردو، هدية أثناء رحلتي الثالثة إلى باريس.

اختارته لي من بين مجموعة كلابها الظريفة، وأوصتني به خيراً. قلت لها: لأنه منك أنت بالذات يا ست بريجيت، فلن يرى مني إلا كل اهتمام"(نفس المصدر).

ثمّ تتداخل أصوات شخوص قصّة ... الذين يعودون من جديد إلى هذه القصّة، نعمان، وعبد الستّار.فسخرية ابن عمته عبد الستار وابن أخته نعمان (هما أيضاً إلى جانب عبد الغفار، كانا في قصة كوفي أنان) جعلته يفكربترك الكلب في المطار والتنصل من المسؤولية عنه" في المطار، داهمتني رغبة ملحّة في ترك الكلب، وفي التنصّل من المسؤولية عنه كأنه لا يخصني، وبذلك أنجو من سخرية ابن عمتي عبد الستار، وابن أختي نعمان. لكنني خفت، فقد يقتادني الإسرائيليون إلى السجن بتهمة التسبّب في زعزعة أمن المطار"(نفس المصدر).

بالانتقال بين الضمائر يضعنا القاص أمام خيار أن نصدّق ما نقرأ، أو نكذّبه .ومع إننا لا نصدّق عبد الغفّار فإننا نقرأ القصّة، ونضحك من المفارقة بين كلابنا المعذّبة مثلنا وكلاب الست بريجيت التي بلغ بها الترف والدلال أنها تنصت بأدب، وتضع أصابعها على رؤوسها كأنها تفكّر.!

يقول عبد الغفار:" لما شفت كلاب الست بريجيت، قلت والله إن المحافظة على الكلاب أمر واجب. تقولون لي كيف؟ أقول لكم: صدقوا وآمنوا أنني حينما كنت أناقش أمور كلابنا الثلاثمائة مع الست بريجيت، فإن كلابها كانت تصغي لنا بكل احترام، وبعضها كان يضع يده على صُدغه، يفركه كما لو أنه يفكّر في أمر ما، وأنه على وشك أن ينطق يا سبحان الخالق الجبار! عبد الستار لم يصدّق هذا الكلام"(نفس المصدر: ٦٢).

عبدالغفار هذا تغير اسلوبه أمام الكلاب و اعتاد في بعض الأمسيات، اصطحاب كلبه متجهاً معه نحو حديقة بيته الخلفية. هناك، يلعب بالكرة مع

الكلب"تماماً مثلما يفعل الرئيس بوش مع كلبيه. كان عبد الغفار يشعر بالنشوة وهو يتماهى مع الرئيس في أمر واحد على الأقل: اللعب مع الكلاب(نفس المصدر: ٦٥)كما في "مذكرة إلى كوفي عنان"، التي تطالب عتان بالتدخل لوقف عواء الكلاب في الحي، وهي كلاب لا تترك لذهن القارئ أن يمضي بعيدا عن الاحتلال.

في نص بريجيت باردو"سخرية حارقة في عالم تتهاوى فيه المفاهيم وتلبسنا عمامة من الضياع ما بين الغرب والشرق هل ثمة ما يصل الآخر بالآخر ولو عن طريق كلب ؟ سؤال لا نجد له جواباً !!!؛عبد الغفار الذي يصارع لحل مشكلة نباح الكلاب في قصة "مذكرة إلى كوفي أنان" يصبح صديقاً لها!.

وما احسن استخدام محمود شقير للسخرية في الوسط الفلسطيني علي حدّ قوله« إن النزعة التهكمية الساخرة التي تظهر في قصصي هي نتاج الواقع المر الذي يعيشه الفلسطينيون تحت الاحتلال، وهي أسلوب في الكتابة التي تتعالى على جراح الواقع، ليس لجهة الهروب من مواجهته، وإنما لجهة تركيز الانتباه على ما يشتمل عليه هذا الواقع من انحراف عن أبسط معايير حقوق الإنسان والكرامة البشرية، ولتحقيق هذا التركيز، لابد من وضع الآخر- الجلاد- تحت مجهر الفن وفضحه، ولتبيان خطر تصرفاته، وللسخرية منه في الوقت نفسه، والاستهانة به وبكل إجراءاته القمعية□(شقير: الكتابة حينما تكسر النمط،٢٠٠٥: ٢٠٢).

٥-٦-صورة شاكيرا/السخرية من موقف الذات ضد العدو

نأتي إلى قصة عنوان غلاف المجموعة. فهي غاية في السخرية حيث يدخل الكاتب لقبه العائلي "شقير" في لعبة التمازج اللفظي بين العربية والعبرية فتصبح كلمة شقير العربية تعني "شاكيرات" باللغة العبرية(رستم بور، ٢٠١٤: ١٥) وليُظهر الكاتب معاناة أبناء القدس الشرقية مع وزارة الداخلية الإسرائيلية

في أمر وثائقهم الثبوتية التي تساعدهم على التنقل والسفر وغيرهما. عائلة محمود شقير، هي شقيرات، ولنلاحظ تشابه اسمه العائلي وبخّاصة عند ترجمته فهو يصبح شكيرات، يعني على مقربة من اسم شاكيرا، ومحمود يلعب على هذا التشابه، وبه يكشف ما يعانيه فلسطيني مضطّر للتكاذب والمجاملة لتمشية أموره لدى سلطات الاحتلال(الولي، ٢٠٠٥: ١٠٢).

في مجموعة "صورة شاكيرا"، ضمن مفارقة اللفظ "شقير/ شكير/ شكير"، ومفارقة الواقع المزري والطموح الجاد الى حدّ القسوة لتغييره، نقف عند جوهر هذه المقاصد، لنعرف أنه "السخرية". معرفة أعلى من مستوى الصدمة، طالما أن الفلسطينيين في قلب العتمة. وماذا لديهم في هذا القلب المظلم الموحش، سوى أن يسخرو، وأن يضحكو، حتى لا يتحولوا إلى تماثيل من الملح المرّ، وتماثيل من العنف والكراهية؟ ليس أن تضحك فقط، بالمعنى الفردي. وإنما هو المعنى الجمعي الأهم، في أن نُضحك الناس.

قصّة (صورة شاكيرا) نشرها محمود في بعض الصحف، وقد لفتت الانتباه لطرافتها، ولقوّتها في الكشف عن أحوال الفلسطينيين واضطرارهم للتعامل اليومي مع سلطات الاحتلال، واستغلالهم لأي منفذ يمكّنهم من تمشية أمورهم شريطة أن لا يقع واحدهم في الشبهات .

يتوجّه الشاب طلحة شقيرات للمرّة السابعة إلى مكتب وزارة الداخلية في القدس، لتجديد وثيقته التي بدونها لا يمكنه السفر. طلحة يعاني من الوقوف في الطابور، من التزاحم، من تجاوز بعض الشباب على الدور. بعد مكابدات وبتوصية من منظمة (إسرائيلية) تتدخّل لتسهيل عرض أوراق تجديد هويته، ينادي الحارس على طلحة (شكيرات)، ولتشابه الاسم يسأله إن كان يعرف شاكيرا، فيجيبه طلحة بفهلوة بأنها إبنة عمه، ويعده بأنه سيحضر له آخر ما أرسلته له من أشرطة وسيديات.

يصيح الحارس الإسرائيلي "من خلف شبك الحديد: طلحة شاكيرات ردَّ ابن عمي في الحال: نعم، نعم، أنا طلحة شاكيرات... حدق الحارس في ابن عمي لحظة، ثم سأله: شاكيرات! هل تعرف شاكيرا؟... طبعاً إنها واحدة من بنات العائلة" (شقير، صورة شاكيرا: ٤٩).

ينشأ وهم في نفس "طلحة" عن فرصة أكيدة للإسراع باستصدار وثيقة طالما الحارس معجب بشاكيرا المغنية التي تحولت بفعل تواطؤ مع الرغبة باستصدار وثيقة إلى واحدة من بنات العائلة. ويتصاعد الحدث بتأكيد رجل العائلة الكبير "إن جد شاكيرا الأول ينتمي إلى عائلة شاكيرات وأنه رحمة الله عليه اختلف مع إخوته على تقسيم الإرث الذي تركه والدهم، فاختار الهجرة إلى لبنان، وهناك، غيَّرَ ديانته" (نفس المصدر: ٥١) والصراع بين الحاجة لتسهيل الأمور الشخصية وبين قيم الناس الأخلاقية يشتد لأن الناس "رددوا أنهم شاهدوا شاكيرا على شاشة التلفاز، ببطن عارٍ وأفخاذ مثل الألماز"(نفس المصدر)

يخبر والده بالأمر المفرح والذي سيفتح لهم منفذاً في علاقة (شريفة) تسهّل تمشية أمورهم. يمتعض الوالد من كون (شاكيرا) مغنيّة و راقصة، ولكنه يرحّب بالمنافع من اسمها فيخترع حكاية عن (جد) شاكيرا الذي هاجر إلى لبنان، وأحب هناك إمرأة مسيحية وتزوّج منها بعد أن تمسّح، ومن ثمّ هاجر أحد أبنائه إلى)كولومبيا)، وهناك أنجب شاكيرا(نفس المصدر).

لكن والد طلحة يتضايق من لغط أهل الحارة حول (شاكيرا) التي تهّز بطنها العاري على شاشات التلفزيون ــ هو لا يشاهد التلفزيون ــ ويرتجل حكاية عن جد شاكيرا الذي صرع ضبعاً وسلخ جلده وباعه.

العم يرافق ابنه طلحة في التوجّه إلى مكتب الداخلية للالتقاء بـ(روني (الحارس المعجب بشاكيرا. يشير له طلحة إذ يراه ولكن (روني) لا يستجيب .

يناديه برفع كلفة: روني، يا روني، ولكن روني منهمك في استلام المعاملات . أدون ـ سيّد ـ روني، ثمّ بصوت أعلى، ولكن روني لا يسمع(نفس المصدر: ٥٦).

بعد معاناة بالمناداة بالعربية والعبرية والإنكليزية" كرّر ابن عمي المحاولة بعدّة لغات: ماشلوم خا أدون روني؟ هاو آر يو مستر روني؟ كيف حالك يا سيد روني؟ بدا واضحاً أن روني سمعه، لكنه لم يعره أيّ اهتمام(نفس المصدر) يتنبّه روني ويستفسر مستفزّاً:"ماذا تريد؟ نحن أقارب شاكيرا، شو نسيت؟ يجيب بغطرسة: صف على الدور، أنا مش فاضي لك(نفس المصدر).

ماذا جرى للعم الكبير؟ اعتزل الناس ثلاثة أيّام قام أثناءها بنزع صورة شاكيرا عن الحائط، أمّا ابن العم، فكما يقول الراوي: فقد أخبرني أنه سيذهب إلى الحارس (روني) مرّة أخرى ومعه مجموعة من أغاني إبنة العائلة شاكيرا المحبوبة حفظها الله(نفس المصدر). ولم تجد نفعاً عملية التواطؤ بين الألفاظ والألقاب. فتبقى شاكيرا هي شاكيرا والحارس الإسرائيلي على عنجهيته وطلعت شقير لابد أن ينتظر وينتظر حتى تحل قضاياه بعيداً عن الوهم.

يشير عنوان القصة الي ما تطرحه العولمة الأميركية من اشارات إلى ثقافة استهلا كية مسطحة تتخذ من بعض رموز الغناء والرقص وسيلة لصرف أجيال الشباب عن الاهتمام بالقضايا الحقيقية لهولاء الشباب انفسهم والوطن والناس. كما أن القاص قد أجاد استخدام الاسلوب الساخر لحبك فكرة القصة في أذهان القراء بشكل مباشر.

وطلحة شكيرات في القصة فلسطيني يحاور (روني) ويهديه أشرطة، ويحب (شاكيرا) ويعلق صورها على جدران منزله. إنه مشغول بها أكثر من انشغاله بمقاومة الاحتلال. ومثله والده الذي يبدو رجلا نفعيا، فهو لا يحب أن تكون

شاكيرا من العائلة لعريها، ولكنه يغض النظر عن بعض سلوكاتها، مما يتحدث عنه الناس، إذا كان في قرابتها ما يقدم له خدمات. لنقرأ الفقرات التالية من القصة، كما يرويها السارد، وهو ابن عم طلحة:

"لابن عمي علاقات كثيرة من هذا الطراز، وهو مقتنع بأنها ستعود عليه ذات يوم بالنفع العميم. مثلا، حينما راج الخبر حول علاقة الحب التي تربط شاكيرا بابن رئيس الأرجنتين، لم يعلق هذا الخبر بذهني سوى لحظة واحدة. أما ابن عمي فقد راح يوظفه في شبكة استعداداته للمستقبل" (نفس المصدر:٥٣).

وعن عمه:-أي عم الراوي":اعتاد عمي الكبير أن يتفشخر أمام الناس، فيقول على نحو مثير للفضول: سأذهب إلى إسبانيا إلى زيارة ابنتنا"!(نفس المصدر: ٥٤)

وكان هذا العم، حين يصغي إلى أقوال تشكك في سلوك شاكيرا، كان يشتمها ":حينما يخلو عمي الكبير إلى نفسه، يميل إلى تصديق كلام أهل الحي: لولا أنهم شاهدوها ترقص عارية لما تحدثوا عن ذلك. كان يفاتح ابنه بهواجسه هذه، وفي بعض الأحيان كان يشتم شاكيرا بألفاظ نابية...." (نفس المصدر).

هذا الموقف المتناقض يبعث، لا شك، على السخرية التي هي لبنة أساسية من لبنات قصص"صورة شاكيرا" أكثرها. في (صورة شاكيرا) يرصد محمود شقير معاناة الفلسطينيين على الحواجز، والدوائر المدنية الإسرائيلية، فحين يواجه أحد أبناء عمومة محمود شقير المتنفذين الصهاينة... يقرأ هؤلاء اسمه نسبة إلى المطربة (شاكيرا) فيتندرون به، فيظن أن أمره يُسر، ولكن الاحتلال احتلال.. فلا يظل عالقاً سوى السخرية. فكل ما يطمح اليه العم في قصة "صورة شاكيرا" هو بطاقة شخصية بدلاً من بطاقته المفقودة في القدس.

" إن ظاهرة شاكيرا و رونالدو لا تشير إلى ثقافة أميركا اللاتينية، بقدر إشارتها إلى إعلام العولمة الذي يصنع النجم الفرد ويعلي من شأنه ويجعله مثلاً يتعلق به الجمهور حد العبادة، والوله المنفلت من كل حساب للمشاعر، وذلك على حساب قضايا أخرى حساسة تحتاج إلى العقلانية والنظر العميق الجاد. أنا لا أنشغل بالحديث عن تفاصيل حياة هؤلاء النجوم قدر انشغالي بالحديث عن تفاصيل حياتنا وهمومنا، لكن هذا المزج والتقابل والتعايش وتبادل التأثير، وخلط الواقعي بالخيالي الذي تعثر عليه في قصصي التي تحمل أسماء هؤلاء النجوم، يقود المتلقي إلى حالة من التأمل ومن التفكير في أوضاعنا التي تصل حد السريالية حيناً، والضحك المبكي انسجاماً مع القول المأثور: شر البلية ما يضحك! حيناً آخر"(شقير: الكتابة حينما تكسر النمط،٢٠٠٥: ٢٠٢).

شقير من خلال شخصية طلحة يشير الي الرؤية السطحية بين الشباب لانه لا يريد ان يحل الازمة بصورة جذرية بل يكتفي بحلها بصورة سطحية .و حينما يجد الصعوبة للدخول في مكتب الداخلية الاسرائيلية ،يلجأ الي المصادقة مع العدو الاسرائيلي وشراء اشرطة شاكيرا له ،في حين لا نتوقع من الشاب الفلسطيني أن يصادق عدوه و ينسي الظلم و التعسف الذي ارتكبه هذا العدو في وطنه. يقول :"سأهديك بعض أغانيها التي ارسلتها لي من قبل أسابيع"(شقير، صورة شاكيرا: ٥٦).

وهكذا يبين شقير واقع الشعب الفلسطيني في حياتهم اليوميه فهم مشغولون بانجاز الامور الفارغة في حين يزحف الاعداء في وطنهم اكثر من الماضي و هم يقعدون ولا يواجهونهم. و كأنّ شقير في"صورة شاكيرا"يشحذ سلاح السخرية من الجلاد ليسدد ضربة له من دون أن يعلن ذلك؛ يفسر شقير لجوءه إلي السخرية شقير: الكتابة حينما تكسر النمط،٢٠٠٥: ٢٠٢) فيقول:"إن

النزعة التهكمية الساخرة التي تظهر في قصصي هي نتاج الواقع المر الذي يعيشه الفلسطينيون تحت الاحتلال،و هي أسلوب في الكتابة التي تتعالي علي جراح الواقع، ليس لجهة الهروب من مواجهته، و إنما لجهة تركيز الانتباه علي ما يشتمل عليه هذا الواقع من انحراف عن أبسط معاييرحقوق الإنسان والكرامة البشرية،و لتحقيق هذا التركيز ،لابد من وضع الآخر –الجلاد–تحت مجهر الفن و فضحه، و لتبيان خطر تصرفاته، و للسخرية منه في الوقت نفسه، و الاستهانة به وبكل إجراءاته القمعية"

النتيجة

- ترصد هذه القصص، الأنباء الداخلية، الهمهمات، والوساوس، والهواجس التي تمشي مع الناس في اليقظة والمنام، وترى آثارها على الآخرين الذين حين تغلّ أيديهم لا تبقى لهم سوى السخرية المُرّة من الواقع، والسجّان، وإدارات الصهاينة المدنية والعسكرية معاً. كما ترصد حالات الهوس، والمبالغة، واللاواقعية التي أنتجتها الحياة تحت حراب المحتل، فعلى الرغم من القتل، والتشريد، والعزل اليومي، والحصار للقرى والمدن.
- يأخذنا الفلسطيني محمود شقير في مجموعته"صورة شاكيرا" عبر رحلة قصيرة ليعرفنا على الصراع الذي يعيشه الفلسطينيون يوميًا مع مؤسسات الاحتلال المدنية في عاملين، الأول بالمحافظة على هويتهم العربية في ظل عصر الثقافة الاستهلاكية والعولمة، والثاني تعبيرها عن الواقع الفلسطيني اليومي من مختلف جوانبه الجيدة والسيئة، ومعهما عامل آخر ممثل بالحفاظ على الهوية الفلسطينية بالأسماء والأماكن التي يحاول الاحتلال تبديلها بأسماء عبرية مثل مناداة موظف مكتب الداخلية شاكيرات بدلًا من شقيرات.

- في قصص المجموعة نرى الكوميدياكما نرى الفانتازيا، وتعثر على الدهشة في مفارقات العيش تحت حراب الاحتلال. هنا نحن أمام قصص تقبض على روح البشر العاديين، ورغبتهم العميقة في الحياة بحدودها القصوى، التي تجعلهم قادرين على اجتراح الفرح والابتسام وحتى الضحك، فيما تزدحم حولهم الأحزان والفجائع التي لها كلّها نبعها الواحد، الاحتلال.
- ليست السخرية المشار إليها في العدد الأكبر من قصص المجموعة، سخرية مباشرة من الجلاد بذاته، إنها سخرية الواقع في تفاصيل حياة الناس ويومياتهم. وهم الناس البسطاء غالباً.
- رونالدو،مايكل جاكسون، شاكيرا، موراتينوس، كوفي عنان و بريجيت باردو. أسماء ذائعة الصيت في عالم الفن والغناء والسياسة. يستحضرها محمود شقير إلى مخيلته الإبداعية، ليدخلها إلى واقع الناس في مدن ومخيمات فلسطين التي أثختها جراح الإرهاب والبطش على يد المحتلين.

قائمة المصادر والمراجع

-ابن منظور،لسان العرب،بيروت،دارالاحياء و التراث العربي، الطبعة الاولي،١٩٨٨م.

- أدونيس ، مقدّمة للشعر العربي ، دار الأسوار ، عكا القديمة ، ١٩٧٧م ٠

-الأسطة، عادل: محمود شقير وقصة "صورة شاكيرا"، موقع محمود شقير الإلكتروني، نافذة الآراء النقدية .

- الأسطة، عادل: محمود شقير والقصة القصيرة الفلسطينية، موقع محمود شقير الإلكتروني، نافذة الآراء النقدية .

-رستم پور، رقية، عناصر القصة في صورة شاكيرا لمحمود شقير، مؤتمر ادب المقاومة و مواجهة الحرب الناعمة، بيروت، ٢٠١٤.

-السلحوت، جميل، أديب المتميز والمتجدد دائمًا، موقع محمود شقير الإلكتروني، نافذة آراء نقدية .

-سيرة ذاتية، موقع محمود شقيرالالكترونية علي الرابط التالي:
http://mahmoudshukair.com/ar/modules/wfchannel

-شاكر، عبدالحميد:الفكاهة والضحك(رؤية جديدة)،الكويت،دارالفنون و الآداب ،الطبعة الاولي، ٢٠٠٣م.
- شقير، محمود: صورة شاكيرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى،
- شقير،محمود: الكتابة حينما تكسر النمط، مجلة الكرمل، رام الله، العدد ٨٣، ٢٠٠٥.
- العوا ، عادل، مواكب التهكّم ، دار الفاضل ، دمشق ، ١٩٩٥م
-عظيمي،كاظم؛ حامد صدقي؛ فيروز حريرچي: تحليل العناصر القصصية في قصة «مقعد رونالدو□ للقاصّ الفلسطيني المعاصر محمود شقير، الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية و آدابها، العدد١٤،الربيع ١٤٣١، الصفحة٣٦-١٩.
-الفيروزآبادي،مجدالدين محمودبن يعقوب،القاموس المحيط،بيروت-لبنان،دارالجيل،(لاط)،(لات)
-المدهون، راسم: محمود شقير حارس القدس الجميل.دمشق-صحيفة تشرين-الأحد:٢٦ كانون اول ٢٠١٠.
-الولي، مصطفى: صورة شاكيرا...الفلسطيني يتحدى جلاده بالسخرية أيضاً، الموقف الأدبي، دمشق، العدد ٤٠٨، ٢٠٠٥
- ويكيبيديا (الموسوعة الحرة).
- ياسين ، بوعلي ، بيان الحد بين الهزْل والجِد، دراسة في أدب النكتة ، ط١، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٦م